القسم الدراسي

الفصل الأول

المؤلف وعصره

المؤلف وعصره

اسمه ونسبه

هو الإمام الأديب أبو الصفاء، خليل بن أيبـك بن عبد الله، الألبكي، السيفي، الفاري[1] الصفدي، المشهور في كنيتـه صلاح الدين[2]، وهو من أصل تركي، ولد في صفد، وإليها نسبته، قال: إنّه ولد في سنة ٧٩٦ هـ[3] ولكنّ هناك أدلّة ترجِّح أنْ يكون مولده قد يكون قبل هذا التاريخ ببضع سنوات[4].

نشأته وطلبه العلم

نشأ الصفدي ـ على ما ينشأ عليه أبناء المماليك ـ نشأة عربية خالصة: فحفظ القرآن الكريم، وقرأ الحديث الشريف، والأصلين، والفقه، وتعلّم الكتابة، والرسم، ودرس الحكمة، والهيئة، والحساب، والمنطق، وبرع في الخط والأدب، والتاريخ، ونظم الشعر، وطاف مع الطلبة في صفد، ودمشق، وحلب، والقدس، والقاهرة؛ فأجاد الصناعتين، وأتقن النحو، والبلاغة، واللغة، وهي الثقافة الضرورية اللازمة لكتاب الإنشاء في عصره.

وأصبح الصفدي رُحْلَة الطالبين، وتصدّر للإفادة بالجامع الأموي وتولّى نظر المدرسة التقوية في دمشق[5]، وقَصَدَه العلماء والدارسون، من كل مكان، وتلمذ له كثير من النابهين، وسمع منه بعض شيوخه.

---

(١) نسبة إلى الفار، وهي بلدة من نواحي أرمينية. انظر: معجم البلدان ٤ / ٢٢٥.
(٢) جاء لقبه في إجازة شافع بن علي له " غرس الدين ". انظر: أعيان العصر ٢ / ٥٠٦.
(٣) نفسه ١ / ٣٨.
(٤) راجع كتابي: الصفدي وآثاره في النقد والأدب ٧٥.
(٥) أعيان العصر ٤ / ٣٢٤، والمدرسة التقوية هي التي أنشأها الملك المظفر، تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب، في سنة ٥٧٤ هـ. انظر: الدارس في تاريخ المدارس ١ / ١٦.

أعماله و وظائفه

كان أوّل عمل تولاَّه كتابة الدّرْج في صَفَد[1]، في أواخر سنة ٧١٧ هـ للأمير حسين بن جُنْدُر بك، والي صفد، ولمّا طُلِبَ الأمير إلى مصر توجّه إليها، ومعه الصفدي، يكتب له، والراجح أنَّ الإقامة طابت له في القاهـرة، ولم يسْع في الانتقال منها إلاّ بعد وفاة الأمير ابن جُنْدُر بك في سنة ٧٢٨ هـ.

لمّا توفي ابن جُنْـدُر بك، طلبه عبد الله، ابن تاج الرئاسة[2] في شوال من سنة ٧٢٨ هـ، ليكتب له[3].

أقام الصفدي في القاهرة حتى مستهل شعبان من سنة ٧٢٩ هـ وهو تاريخ إجازة ابن نباتة له[4].

وفي آخـر سـنة ٧٢٩ هـ، أُسْنِـدت إليـه وكـالة بيـت المـال، وكتابة الدَّرْج في مدينة "رَحَبَة مالك بن طوق"[5]، فوصـل إليها في شهـر المحرم من سنة

---

(١) صَفَدَ: مدينة في جبال عاملة المطلَّة على حمص، وذكر أبو الفداء أنّها بفتح الصاد المهملة والفاء، ثم مثنَّاة من فوق "صفت"، والمشهور على ألسنة الناس صفد بالدال المهملة مكان التاء وكان الملك الصالح الأيوبي إسماعيل قد تنازل عنها للصليبيين في سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م، واستردَّها منهم الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م.
انظر: معجم البلدان ٣ / ٤١٢، وتقويم البلدان ١٤٢، ومملكة صفد ١٣ ـ ٣٢، ودائرة المعارف الإسلامية ١٤ / ٢١٦..

(٢) الصاحب، الرئيس، أمين الملك، عبد الله، ابن تاج الرئاسة (ت ٧٤٠ هـ) وزير الديار المصرية والشامية، كان نصرانيا، وأسلم.
انظر: الوافي بالوفيات ١٧ / ٨٨، وأعيان العصر ٢ / ٦٥٨، وتذكرة النبيه ٢ / ٣٢٣، والدرر الكامنة ٢ / ٢٥١.

(٣) الوافي بالوفيات ١٧ / ٨٨، وأعيان العصر ٢ / ٦٦٢.

(٤) أبو بكر، محمد بن محمد بن محمد، الفارقي، جمال الدين، المصري (٦٨٦ ـ ٧٦٨ هـ) شاعر، أديب، ديوانه مطبوع.
انظر: معجـم الشيوخ ٢ / ٢٧٨، ودرة الأسلاك ٤٤٤، وتذكرة النبيه ٣ / ٣٠٤، والمقفى الكبير ٧ / ١٠٣، والأعلام ٧ / ٣٨، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٧٣..

(٥) رَحَبَة مالك بن طوق: مدينـة بين الرّقة، وبغداد، على شاطئ الفرات، إليها تنسب الثياب الرحبية، وتعرف برحبة الشام. انظر: معجم البلدان ٣ / ٣٤، والمشترك وضعا ٢٠٣ وتقويم البلدان ٢٨٠، وانظر مقدمة الشريشي لشرح المقامة الرحبية ١ / ٣٧٤. =

٧٣٠ هـ[١]، ولكـــن لم يطـــب له العيش فيها؛ بسبب شدّة حرِّها، وذمَّها في شعر كثير.

نُقِلَ الصَّفدي بعدها إلى دمشق في شهر ربيع الأول من سنة ٧٣١ هـ، وذلك في وظيفة كاتب درج[٢]، واستقرّ بها، منذ ذلك التاريخ واتخذها دار مقامه، ولم يغادرها إلاّ في فترات قليلة جدًّا كان يُطْلَب فيها إلى القاهرة ؛ لأداء بعض المهام، أو للترقية في مدينة أخرى، يعود بعدها إلى دمشق، وفيها أهله ؛ فقد تولى كتابة السر في حلب، في سنة ٧٥٩ هـ[٣] ثم رجع إلى دمشق على "وكالة بيت المال وتوقيع الدست"[٤] وأقام بها إلى وفاته.

شيوخه

تلمذ الصفدي لعدد كبير من مشاهير علماء عصره، في جميع فروع المعرفة العقلية والنقلية السائدة في ذلك الوقت، نذكر منهم:

الإمام ابن تيمية[٥]، وابن فضل الله العُمَـرِي[٦]، والسبكي[٧]، وابن سيّد

= والرحبة منسوبة إلى بانيها، وهو أبو كلثوم، مالك بن طوق بن عتاب [أو غياث]، التغلبي من بني ثعلبة، قائد شجاع، وجواد كريم، وشاعر ـ فصيح، كان أميرا على الجزيرة (ت ٢٥٩هـ أو ٢٦٦ هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي [٢٥١ ـ٢٦٠] ٣٤٧، والوافي بالوفيات ٢٥ / ٦٤، والأعلام ٥ / ٢٦٢.

(١) منشآت الصفدي ٢١ / ب.

(٢) انظر: أعيان العصر ١ / ٦٠، ٣٠٨، ٣/ ٥٩٩، و٤ / ١٨١، و ٢٥٧، و٢٧٦، ٥٥٩..

(٣) المصدر السابق ١ / ١٢٩.

(٤) نفسه ٤ / ٣١١، و ٥ / ٣١٤.

(٥) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تقي الدين، الحراني = (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) فقيه مفسر، أصولي، وأحد العلماء المجتهدين. انظر: الوافي بالوفيات ٧ / ١٥ وأعيان العصر ١ / ٢٣٣ والمنهل الصافي ١ / ٣٥٨، والأعلام ١ / ١٤٤، ومعجم المؤلفين ١ / ٢١٦ ، و١٣ / ٣٦١.

(٦) أبو العباس، أحمد بن يحيى بن فضـل الله بن المجلّي بن دعجان ، شهاب الدين، القرشي، العدوي، العمري، الدمشقي (٧٠٠ ـ ٧٤٩ هـ) شاعر، أديب، من كتاب الإنشاء، أشهر مؤلفاته مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. انظر: الوافي بالوفيات ٨ / ٢٥٢ وأعيان العصر ١ / ٤١٧، ووفيات السلامي ١ / ٢٨٣، والمنهل الصافي ٢ / ٢٦١.

(٧) أبو الحسن، على بن عبد الكافي بن على بن تمّام الأنصـاري، الخـزرجى (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ) قاضي قضاة الشافعية، حافظ، فقيه، مفسر، مقرئ، أصولي، أديب، شاعر شيخ الإسلام في عصره. انظر: الوافي بالوفيات ٢١ / ٢٥٣، وتذكرة النبيه ٣ / ١٨٨، ودرة الحجال ٣ / ٢١٨، وعصر سلاطين المماليك ٣ / ٢٧٧، والأعلام ٤ / ٣٠٢.

الناس[1]، والحافظ المِزِّي[2] وأبو حيَّان[3]، والبندنيجي[4]، والذهبي[5]، وغيرهم كثير.

تلاميذه

تلمذ للصفدي كثير من النابهين، أذكر منهم:

المحدّث: أحمد بن على بن محمد بن أبي الفتح، نور الدين، الدمشقي، نزيل حلب (ت ٨٠٤ هـ)[6].

الموصلي: الحسين بن علي بن أبى بكر بن محمد، بهاء الدين، الحنبلي (٦٩٠ ـ ٧٥٩ هـ) شيخ الحديث بالعساكرية ، وهو شاعر أديب، له قدرة على حلّ الألغاز ونظمها، وكان يحب نظم الضوابط[7].

---

(١) أبو الفتوح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، فتح الدين، اليعمري، الأندلسي، الإشبيلي، المصري (٦٧١ ـ ٧٣٤ هـ) مؤرخ، فقيه، محدّث، شاعر، أديب، مولده، ووفاته بالقاهرة.
انظر: الإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٥٠٥، وذيول العبر ٤ / ٩٩، والوافي بالوفيات ١ / ٢٨٩، وأعيان العصر ٥ / ٢٠١، والأعلام ٧ / ٣٤، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٦٩.

(٢) أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، جمال الدين، القضاعي، الكلبي (٦٥٤ ـ ٧٤٢ هـ) مؤرخ لغوي، نحوي، حافظ. انظر: معجم الشيوخ ٢ / ٣٨٩، وبرنامج الوادي آشي ٩٦، وطبقات علماء الحديث ٤ / ٢٧٥، والوافي بالوفيات ٢٩ / ٢٤٢، وأعيان العصر ٥ / ٦٤٤، ووفيات السُّلاَميّ ١ / ٣٩٦ وتوضيح المشتبه ٨ / ١٣١، والأعلام ٨ / ٢٣٦، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣٠٨.

(٣) أبو حَيَّان: محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي، الغرناطي، الجبّائي، الجياني (٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ) من أئمة اللغة، والنحو، والتفسير ، والأدب، والتاريخ ، شاعر. انظر: تذكرة النبيه ٣ / ٦٨، ودرة الأسلاك ٣٤٥، والكتيبة الكامنة ٨١، والمقفى الكبير ٧ / ٥٠٧، والسلوك ١ / ٢ / ٦٧٦، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ٦ / ٤٥١، والأعلام ٧ / ١٥٢، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٣٠.

(٤) أبو الحسن، علي بن محمد بن ممدود بن جامع، شمس الدين، البغدادي (٦٤٣ ـ ٧٣٦ هـ) محدث، متصوف. انظر: ذيول العبر ١٨٩، والوافي بالوفيات ٢٢ / ١٤١، وأعيان العصر ٣ / ٥١٥، ولذة السمع ٢٤، و١٤٧، والبداية والنهاية ١٤ / ١٧٤، والدرر الكامنة ٣ / ١١٩..

(٥) أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ) حافظ، مؤرخ، محدّث، من المكثرين في التأليف، أشهر كتبه: تاريخ الإسلام، وقد درسه وقدّم له بترجمة وافية د / بشار عوّاد معروف. انظر: الوافي بالوفيات ٢ / ٢٦٣، وأعيان العصر ٤ / ٢٨٨، والأعلام ٥ / ٣٢٦، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩..

(٦) انظر: إنباء الغمر (القاهرة) ٢ / ٢١٠.

(٧) انظر: الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٣٣، وأعيان العصر ٢ / ٢٧٧، والدرر الكامنة ٢ / ٥٩.

نجم الدين الدِّهْلي: أبو الخير، سعيد بن عبد الله، الحنبلي، الهلالي الحريري صنعة (٧١٢ ـ ٧٤٩ هـ) وكان يعرف التراجم والوفيات، ومن تصانيفه: كتاب "تفتت الأكباد في واقعة بغداد"، و "الرحلة الثانية إلى مصر"[١].

اليمني: عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله، الشيخ تاج الدين المخزومي، المكي (٦٨٠ ـ ٧٤٤ هـ) شاعر، أديب، مؤرخ كان يقرئ في المقامات، والعروض، وكتب الدرج، وتولى الوزارة باليمن، ودرّس في المشهد النفيسي بالقاهرة[٢].

ابن رجب: أبو الفـرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين، السّلامي (٧٣٦ ـ ٥٧٩ هـ) حافظ، مؤرخ[٣].

مذهبه

تكـاد تجمع كتب التراجم على أنّ الصفدي شافعيّ المذهب[٤] وبالرغم من ذلك؛ فإنّي أراه يميل إلى الظاهريّـة ميلا واضحا، وبخاصّـة في آرائه النقدية، والنحويّة[٥].

أخلاقه وصفاته

وَصَفَه أصدقاؤه بأنّـه: الكامـل، المشارك في الفضائل، إليه المنتهى في مكارم الأخلاق، ومحاسن الشِّيم، محبب إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المودّة عظيم

---

(١) انظر: ذيول العبر ٢٧٧، والوافي بالوفيات ١٥ / ٢٣٣، وأعيان العصر ٢ / ٤٠٨، ووفيات السلامي ١ / ٢٨٢، والدرر الكامنة ٢ / ١٣٤، وشذرات الذهب ٥ / ١٦٣..

(٢) انظر: الوافي بالوفيات ١٨ / ٢٣، وأعيان العصر ٣ / ١٢، ذيول العبر ٢٣٣، ووفيات السلامي ١ / ٤٣٧، والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٤، والأعلام ٣ / ٢٧٢، ومعجم المؤلفين ٥ / ٧٣.

(٣) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٦٣٦، والأعلام ٣ / ٢٩٥، ومعجم المؤلفين ٥ / ١١٨.

(٤) وَهَلَ كارل بروكلمان ـ هو أو مترجم كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " ـ فذكر في صفحة ٣٦٩ أنّ الصفدي مؤلف أحد الكتب الشهيرة المعتمدة في الفقه المالكي ؛ فخلط بين خليل بن أيبك الصفدي وخليل بن إسحاق المالكي، كما خلط ابن القاضي بين الصفدي وخليل بن كيكلدي. انظر: درة الحجال ١ / ٢٥٨..

(٥) يراجع الباب الأول من كتابي "الصفدي وآثاره في الأدب والنقد" وهي رسالة دكتوراة في كلية الآداب جامعة عين شمس، نشرتها دار الآفاق العربية، بالقاهرة، في سنة ٢٠٠٥م..

المروءة، حافظ للعهد، يراسل أصحابه ومعارفه إنْ بعدوا عنه، ويسأل عنهم، ويتفقّد أحوالهم، وتقوى رابطة الإسلام بينه وبينهم إنْ قربوا منه[1].

وقد أشاد أساتذته بتوقُّد ذهنه، وحدّة ذكائه، وشدّة نشاطه[2] فيه تواضع العلماء، يسأل أهل العلم عمّا يحتاج إليه في كتبه من فقه، وحديث، وأصول، ونحو[3]، وكان ـ إلى جانب ذلك ـ بليغا، فصيحا[4]. وكان يواسي طلبة العلم كثيرا"[5].

تديّنه

يكثر في كتب الصفدي شعر المجون، وحكاياته، له، ولغيره، وله الكثير ـ من الشعر، والمقامات ـ في التغزل بالغلمان، وقد تثير هذه الأشياء سؤالا عن سلوكه الأخلاقي، والتزامه الديني، وبخاصّة أنّه أمير من أمراء المماليك ذوي الثراء والنفوذ، وقد عرف عنهم الكثير من الانحلال الأخلاقي والانحراف عن الدين.

من الراجح أنّ الصفدي كان من أعفّ الناس فرجا، وأقومهم سلوكا، وأكثرهم تحلّيا بالفضائل؛ فما سمعنا عنه شائبة ـ على كثرة حسّاده، ومنافسيه، وشانئيه ـ تسيء إليه، ولا ذُكر عنه خطأ وقع فيه وما مجونه ـ في الحقيقة ـ إلاّ مجاراة لأدباء عصره والمشاهير منهم، وبخاصة علماء الحديث، والقضاة؛ فلا تخلو تراجمهم من شعر لهم في المجون، وهي ظاهرة فاشية، في ذلك العصر وفي العصور السابقة عليه.

ومن المؤكد أيضا أنّ الصفدي كان صحيح العقيدة، كثير العبادة حافظا للقرآن الكريم، راويا للحديث الشريف، بل إنَّه لبس خرقة التصوف من الشيخ موسى بن

(١) انظر: الدرر الكامنة ٢ / ٨٧ ـ ٨٨.
(٢) انظر: الوافي بالوفيات ٧ / ٢٠ ـ ٢٢.
(٣) انظر: طبقات الشافعيّة الكبرى ١٠ / ٥.
(٤) انظر: الوافي بالوفيات ٤ / ١٩٣.
(٥) درة الحجال ١ / ٢٥٨.

أحمد، مجد الدين، الأقصرائي (ت ٧٤٠ هـ)[١]، شيخ الشيوخ بسرياقوس، وساق سلسلة الشيوخ المريدين بسند متصل، إلى الإمام علي بن أبى طالب ﷺ، عن رسول الله ﷺ ، ويبدو أنّ التصوُّف عنده عقيدة وسلوك، وليس شعوذة واتكاليّة، أو مظهرًا خادعًا مضلِّلاً.

وفاته

توفي بالطاعون، ليلة الأحد، العاشر من شوّال، من سنة ٧٦٤ هـ، في دمشق، ودفن بالصوفيّة[٢]، رحمه الله تعالى.

مكانته العلمية والأدبية

الفترة التاريخية التي عاشها الصفدي تمثّل عصري الازدهار والانحدار في دولـة المماليك الأولى، والتي يطلق عليها المؤرخون اسم "دولة المماليك البحرية الصالحية"؛ وإنْ كان معظم سلاطينها ليسوا من المماليك البحرية[٣]، والصفدي واحد من أمراء المماليك ، ومن كبار موظفي دولتهم الذين يتاح لهم ـ عادة ـ فرصة الاطلاع على شئون الملك وأسراره، والإسهام في كتابة وثائقه وتسجيل وقائعه، وبخاصة؛ لأنَّه شاهد عِيان، ومؤرخ ثبْتٌ، وناقد بصير، وشاعر معبر عن أحداثه: فقد وصف معاركه، ومدح عظماءه، ورثى شهداءه.

عَرَف له معاصروه قَدْرَه، ومَنْ بعدهم ؛ فقرأ عليه كثير من شيوخه، وبعضهم نقل عنه، وبعضهم أذن له في إصلاح مؤلفاته، وهي درجة من الثقّة هو لها أهل، فمن ذلك:

❁ قال ابن سيّد الناس في إجازته الصفدي: "... وأذنت لك في إصلاح ما تعْثُر عليه من الزلل، والوهم، والخلل الصادر عن غفلة اعترت النقل، أو وهْلة

---

(١) محدث، زاهد، كان آية في الكرم، معظَّما من السلطان، له ترجمة في: أعيان العصر: ٥ / ٤٧٥، ووفيات السلامي ١ / ١٠٥، والدرر الكامنة ٤ / ٣٧٣، والنجوم الزاهرة ٩ / ٣٢٤.

(٢) روضات الجنات ٧١٧، وتاريخ الأدب العربي، لجورجي زيدان ٣ / ١٦١، واكتفاء القنوع ٣٤٥.

(٣) انظر: قيام دولة المماليك الأولى للعبادي ٧، والعصر المماليكي لعاشور ٥.

اعترضت الفهم، فيما صدر عن قريحتي القريحة ، من النثر والنظم، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره ممّا لعله أنجى من المرهوب، أو أنجع في نيل المطلوب، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب، وقد أجزت لك إجازة خاصة، يرى جوازها بعض من لا يرى جواز الإجازة العامّة"[1].

❁ والذهبي نقل عنه أشياء كثيرة في كتابه سير أعلام النبلاء[2].

❁ علق الصفدي على كتاب الحيوان للجاحظ، قال: مَنْ وقف على كتابه هذا ـ وغالب تصانيفه ـ ورأى فيها الاستطرادات التي يستطردها، والانتقالات التي ينتقل إليها ، والجهالات التي يعترض بها في غضون كلامه بأدنى ملابسة عَلِمَ ما يلزم الأديب، وما يتعيَّن عليه من مشاركة المعارف.

ويعلق حاجي خليفة على هذه الملاحظة بقولـه: ما ذكره الصفدي من إسناد الجهالات إليه صحيح، واقع فيما يرجع إلى الأمور الطبيعية، فإنَّ الجاحظ من شيوخ الفصاحة، والبلاغة لا من أهل هذا الفن[3].

❁ واقرأ رأي الصفدي في عِلْم سليمان بن داود، رئيس الأطباء بدمشق قال: "وأنا اجتمعـت به بدمشق، والديار المصريّة، غير مرّة ، فوجدته رجلا خبيرا بالعلاج، لا على القواعد، بل أخذ ذلك بسعْدٍ يرشده له، وفطنة تؤدّيه إليه، ولم أجده يعرف شيئا من الحكمة[4].

ويبدو أنّ معرفته بالطب لم تكن مجرّد هواية، يرضي بها رغبة في نفسه ؛ بل كانت نتيجة دراسة علميّة جادّة، وتأمّل عميق، وبعد نظر.

ومما يدلّ على مكانته السامية في العلم أثـره فيمن جاء بعده من الأدباء والمؤرخين، منهم: ابن شاكر الكتبي[5] الذي أكثر النقل عنه في مؤلفاته.

---

(١) أعيان العصر ٥ / ٢١٢.
(٢) نفسه ٤ / ٢٩٠.
(٣) انظر: كشف الظنون ١ / ٦٩٦، وفيه عبارة الصفدي.
(٤) أعيان العصر ٢ / ٤٤٢.
(٥) محمد بن شاكر بن أحمد، صلاح الدين (ت ٧٦٤ هـ) مؤرخ، أديب، صاحب فوات الوفيات وعيون التواريخ. انظر: الأعلام ٦ / ١٥٦، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٦١.

وسار على نهجه ـ وإنْ غمز فيه ـ ابن حجّة الحموي[1].

وكانت كتبه عمدة ابن حمزة الحسيني[2]، والمقريزي[3]، وابن حجر[4]، والسخاوي[5]، وابن تغري بردي[6]، والنعيمي[7]، وابن إياس[8]، بل إنّنا نجد السيوطي[9] يتتبع كتبه اختصارا، وتتميما، ونقلا عنها.

---

(١) أبو بكر بن علي بن عبد الله، تقي الدين (٧٦٧ ـ ٨٣٧ هـ) شاعر، ناقد، أديب، من كتاب الديوان، صاحب خزانة الأدب.
انظر: الأعلام ٢ / ٦٧، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٧.

(٢) أبو المحاسن، محمد بن علي بن الحسن، شمس الدين، الحسيني، الدمشقي (٧١٥ ـ ٧٦٥ هـ) حافظ، مؤرخ، له مؤلفات كثيرة، منها ذيل العبر.
انظر: الأعلام ٦ / ٢٨٦، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٣١٥.

(٣) أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) مؤرخ الديار المصرية في وقته، مولده ووفاته بها، له مؤلفات كثيرة أشهرها الخطط، والسلوك، والمقفى الكبير. انظر: الأعلام ١ / ١٧٧، ومعجم المؤلفين ٢ / ١١.

(٤) أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد، الكناني، العسقلاني، شهاب الدين ، ابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) من أئمة العلم، مؤرخ، فقيه، محدث شاعر، ولي قضاء مصر مرات وتصانيفه كثيرة، أشهرها الدرر الكامنة، وإنباء الغمر، وتهذيب التهذيب، وله ديوان شعر.
انظر: الأعلام ١ / ١٧٨، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠.

(٥) أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ) مؤرخ مفسر، محدث، أديب، أشهر مؤلفاته الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.
انظر: الكنى والألقاب ٢ / ٣١١، والأعلام ٦ / ١٩٤، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٥٠.

(٦) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، جمال الدين (٨١٣ ـ٨٧٤ هـ) أمير، مؤرخ، بحّاثة، له مؤلفات كثيرة، أهمها النجوم الزاهرة، والدليل الشافي، والمنهل الصافي. انظر: الإعلام ٨ / ٢٢٢، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٨٢.

(٧) أبو المفاخر، عبد القادر بن محمد بن عمر (٨٤٥ ـ ٩٢٧ هـ) مؤرخ دمشق في عصره انظر: الأعلام ٤ / ٤٣، ومعجم المؤلفين ٥ / ٣٠١، و١٣ / ٣٩٨.

(٨) أبو البركات، محمد بن أحمد بن إياس، الحنفي (٨٥٢ ـ ٩٣٠ هـ) مؤرخ، أديب باحث، من مماليك مصر، أشهر كتبه بدائع الزهور في وقائع الدهور. انظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان ق ٨ / ٨٤، والأعلام ٦ / ٥، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٦.

(٩) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) حافظ، مفسر محدث، لغوي، مؤرخ، أديب، أكثر المؤلفين العرب تصنيفا على الإطلاق.
انظر: الأعلام ٣ / ٣٠١، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٨..

كان الصفدي على علائق وثيقة بملوك عصره، وأمرائه، يصحبهم، ويترسل عنهم، وكانت علائقه أوثق بعلماء زمانه ، وأدبائه ومثقفيه، يقرأ عليهم، ويراسلهم، ويستجيزهم، ويباحثهم في مجالسهم، ويسامرهم في أنديتهم، وينسخ كتبهم، ويترجمهم في كتبه.

كما كان للأتقياء، وللصالحين نصيب في حياتـه: يَوَدُّهم، ويَبَرُّهم، ويلبس خرقتهم.

ودَوَّنَ كل ذلك في كتبه؛ فمؤلفاته ـ بحق ـ سجلّ حافل أَمِينٌ يصوّر أكثر من نصف القرن الثامن الهجري أصدق تصوير في حياته السياسيّة والاجتماعية، وتيّاراته الفكرية، والثقافيّة؛ يصوره في جِدّه وهَزْلـه، في ثرائه وفقره، في أمجاده ونكباته، في وقائعه وأحداثه، في خيره وشرّه.

ولم تكن هذه المنْزلة الرفيعة التي بلغها في العلم، لتصيبه بالغرور، وتملأ جوانبه بالزهو، وتغيّر من خلقه السهل، وطبعه السمح، فهو شديد التواضع، مذعن للحق، واقرأ هذه العبارة:

سمع محمد بن جنكلي[1] الصفدي يقرأ على ابن سيّد الناس، يوما فصحّف بعض الأسماء ذهولا منه، فصححها له ابن جنكلي، فلمّا فرغ من قراءته أنشد الصفدي[2]:

يَـــرُدُّ عَلَيْنَـــا مَـــا نَقُـــولُ أَمِيرُنَـــا لِـــئَلاَّ يَرَانَـــا فِي النُّهَـــى دُونَ حَدْسِـــهِ
وَيَخْتَـــارُ مِنَّـــا أَنْ نَكُـــونَ كَمِثْلِـــه "وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ"

فأعجبه هذا التضمين، وطرب له.

وكان الصفدي إذا تحدّث عن واحد من شيوخه قال[3]:

" قال شيخنا فلان"

---

(١) الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلي، الحنبلي (٦٩٧ ـ ٧٤١ هـ) أديب، فاضل، كان مواظبا على سماع الحديث، والفقه. انظر: الوافي بالوفيات ٢ / ٣١٠ وأعيان العصر ٤ / ٣٧٩، وفيات السلامي ١ / ١٣٦، والدرر الكامنة ٣ / ٤١٦.

(٢) أعيان العصر ٤ / ٣٨١.

(٣) راجع: أعيان العصر ١ / ٦١، و ١١٤، و١٣٩، و١٦٤، و ١٦٩، و٢٠١.....

وهو إلى جانب تواضعه وحلمه كان شديد الاعتزاز بنفسه عظيم الثقة بقدراتـه، ويفخر بأنّه خالف الناس في التوسّل إلى الآخرين، ولا يرضى التذلُّل لهم ويخاطب ممدوحا له بقوله[1]:

أَرَدْتُ حِلْمَـــــكَ يَبْـــــدُو إذْ كَـــــانَ ذَنْبِـــــيَ هَائِـــــلْ
فَهَـــــلْ رَأَيْـــــتَ خِـــــلافِي خَـــــلَّى الـــــذُّنُوبَ وَسَـــــائِلْ ؟

مؤلفاته

يعد الصفدي من المكثرين في التأليف[2]، ونُسِب إليه ـ خطأ ـ كتب كثيرة ليست له ، وأشهر كتبه الموجودة هي:

١ ـ اختراع الخراع في مخالفـة النقل والطباع: وهي مقامة فيها تهكّم وسخرية بالجهال الذين يدّعون العلم، مخطوط.

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر: ترجم فيه أشهر رجالات القرن الثامن الهجري حقق، وطبع في دمشق.

٣ ـ ألحان السواجع بين البادي والمراجع: يضم رسائل بينه وبين معاصريه، حقق وطبع في القاهرة، والكويت.

٤ ـ أمراء دمشق في الإسلام: أرجوزة في التاريخ، حققت وطبعت في دمشق، وأعيد طبعها في بيروت.

٥ ـ الانتصار لابن سناء الملك، حققه الأستاذ هلال ناجي، ود / ظمياء محمد عباس، ويطبع في بيروت، الآن.

٦ ـ تحفة ذوي الألباب في من حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب وهو شرح لأرجوزته، حقق، وطبع في دمشق.

٧ ـ التذكرة الصفدية: مذكرات جامعة في الأدب والتاريخ والنقد، وفيها

---

(١) تمام المتون ٢٦٧..

(٢) يراجع الباب الثاني من كتابي " الصفدي وآثاره في الأدب والنقد " ١٤٢ ـ ٣٠٠.

تلخيص لبعـض الكتب، واختيارات من دواوين الشعـراء، منها أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية، وغيرها.

٨ ـ تصحيح التصحيف وتحريـر التحريف: كتاب في اللغة، حقق، وطبع في القاهرة.

٩ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: شرح فيه رسالة ابن زيدون الجدّية، حقق، وطبع في القاهرة.

١٠ ـ توشيع التوشيح: كتاب في النقد والأدب: حقق، وطبع في بيروت.

١١ ـ جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة: كتاب في النقد والأدب، منه مخطوط في دار الكتب المصرية.

١٢ ـ جنان الجناس: كتاب في البلاغة، طبع في القسطنطينية، وأعيد طبعه في بيروت على صورته غير المحققة، وزيدت عليها بعض الشروح غير الدقيقة، وحققه هلال ناجي، ونشرته مجلة الذخائر البيروتية، العدد الرابع، سنة ٢٠٠٠م.

١٣ ـ الروض الباسم والعرف الناسم: وهو مجموعة من شعر الصفدي مبوّبة بحسب الموضوعات حققته، ونشرته دار الآفاق العربية بالقاهرة.

١٤ ـ الشعور بالعور: فيه تراجم العور، حقق وطبع في الأردن.

١٥ ـ صرف العين وعرض العين في وصف العين: كتاب في الأدب، حققتـه ضمن رسالتي للدكتوراه في كلية الآداب جامعـة عين شمس، وطبعته دار الآفاق العربية، بالقاهرة، في سنة ٢٠٠٥م.

١٦ ـ طرد السبع عن سرد السبع: كتاب في الأدب، مخطوط.

١٧ ـ عبرة اللبيب بعثرة الكئيب: وهو مقامة، وتعرف ـ أيضا ـ باسم "المقامة الأيبكية" منها مخطوطتان في دار الكتب المصرية.

١٨ ـ غوامض الصحاح: كتاب في اللغة، حقق، وطبع في الكويت، وأعيد طبعه في بيروت.

١٩ ـ غيث الأدب الذي انسجم في شرح لامية العجم: شرح لامية الطغرائي، طبع في القاهرة ، والإسكندرية ، وأعيد طبعه في بيروت، وكلها طبعات غير محققة.

٢٠ ـ فض الختام عن التورية والاستخدام: كتاب في البلاغة، حقق، وطبع في القاهرة.

٢١ ـ الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، حققه هلال ناجي، ووليد بن أحمد، وطبع في بريطانيا، في سنة ١٩٩٩م، ويعاد طبعه في بيروت الآن.

٢٢ ـ كشف الحال في وصف الخال: كتاب في الأدب، مخطوط.

٢٣ ـ كشف السر المبهم في لزوم ما لا يلزم: كتاب في البلاغة، حقق كرسالة جامعية في الجامعة السورية، ولم يطبع بعد.

٢٤ ـ لذة السمع في صفة الدمع: كتاب في الأدب، وهو الكتاب موضوع الدراسة، وسأفصِّل الحديث عنه في الفصل التالي.

٢٥ ـ نصرة الثائر على المثل الثائر: كتاب في النقد، حقق، وطبع في دمشق.

٢٦ ـ نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم، كتاب في اللغة، حقق في دار العلوم بالقاهرة، ولم يطبع بعد.

٢٧ ـ نكت الهميان في نكت العميان: كتاب في التراجم، حقق وطبع في القاهرة.

٢٨ ـ الهول المعجب في القول بالموجب، وهو كتاب في البلاغة، حققته ونشرته دار الآفاق العربية، بالقاهرة، في سنة ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الوافي بالوفيات: أوسع الكتب العربية في التراجم، تتولى نشره جمعية المستشرقين في ألمانيا، وطبع منه إلى الآن ٢٦ جزءا.